وَسَـيْـفـي مُـرْهَـفُ الـحَـدّيـنِ مَـاضٍ
تَـقُـدُّ شِـفَـارُهُ الـصّـخْـرَ الـجَـمَـادا[١]
وَرُمْـحـي مـا طَـعَـنْـتُ بـهِ طَـعـيـنـاً،
فَـعَـادَ بـعَـيْـنِـهِ نَـظَـرَ الـرَّشَـادا[٢]
وَلَـوْلا صَـارِمـي وَسِـنَـانُ رُمْـحـي
لـمـا رَفَـعَـتْ بَـنُـو عَـبْـسٍ عِـمَـادا[٣]

لا مال لمن ليس له مجد

يشكو أهل زمانه ويمدح جماعة من قومه كان يعتمد عليهم في مهماته:

[الطويل]

لأيّ حَـبـيـبٍ يَـحْـسُـنُ الـرّأيُ وَالـوُدُّ،
وَأكـثـرُ هـذا الـنّـاسِ لـيـسَ لـهـم عَـهـدُ[٤]

= للحرب، فالشاعر كثيراً ما ترك نساءً يولولْن، يبكين أزواجهن، وقد ترك الحزن والحسرة في قلوبهن لفقدهن من يحميهن من غدرات الزمن.

(١)، (٢) يتحدث الشاعر عن سلاحه الرهيب؛ فسيفه ماضٍ ذو حدّين بإمكانه أن يقطع الصخر ويبريه، ورمحه يخترق الأجساد حتى لا يُفلح المطعون بعد ذلك، فلا يرى شيئاً على حاله، فقد شلّ عنترة فيه كل قدرة.

(٣) إن الشاعر يفخر بنفسه، فهو حامي بني عبس وعزّهم فبسيفه ورمحه شاد لهم مجداً لا تمحوه السنون والأيام.

(٤) يتبرّم الشاعر من أحداث الزمان المتعدّدة الوجوه، وأخطرها بلا ريب العلاقات الإنسانية، وبخاصة الأحبّة، ها هوذا الحبيب لا يحسن ودّه ورأيه فاسد ينمّ عن ملال وخِداع؛ وهذا حال سائر البشر، فليس لهم عهد.

أُرِيـــدُ مِـــنَ الأيّـــامِ مـــا لا يَـــضُـــرُّهَـــا،
فَـهَـلْ دَافِـعٌ عَـنـي نَـوَائِـبَـهَـا الـجَـهـدُ[١]؟
وَمَـا هَـذِهِ الـدّنْـيَـا لَـنَـا بـمُـطـيـعَـةٍ،
وَلَـيْـسَ لـخَـلْـقٍ مِـنْ مُـداراتـهـا بُـدُّ[٢]
تَـكُـونُ الـمَـوَالـي وَالـعَـبـيـدُ لِـعـاجِـزٍ،
وَيَـخْـدُمُ فـيـهـا نَـفْـسَـهُ الـبـطـلُ الـفَـرْدُ[٣]
وَكُـلُّ قَـرِيـبٍ لـي بَـعـيـدُ مَـوَدّةٍ،
وَكُـلّ صَـدِيـقٍ بَـيـنَ أضْـلُـعِـهِ حِـقْـدُ[٤]
فَـلِـلّـهِ قَـلْـبٌ لا يَـبُـلّ غَـلـيـلَـهُ
وِصَـالٌ وَلا يُـلـهـيـهِ مـن حَـلِّـهِ عَـقْـدُ[٥]

(١) يتمنّى الشاعر من الزمن ما لا يضرّه، وهو بحاجة إليه كإنسان له أحلام وأمانٍ يعمل على تحقيقها، والشاعر ليس له من الأمر شيء سوى جهد يبذله في سبيل سعادته ومجده.

(٢) هذه الدنيا عاصية لا تلين، فقِيادها ليس بيد أحد، وعلى جميع البشر العمل؛ كلّ حسب طاقته، على مداراتها، ليسير بها إلى نهاية العمر.

(٣) ومن العجيب أن الحظوظ تختلف من شخص لآخر؛ فالعاجز يملك كلّ ما يحلو له فالعبيد والموالي والسعادة ملك يديه، أما الأقوياء وهم قلائل؛ فالبطل منهم هو من يُضحّي بنفسه وعمره على مذبح طموحه، وقد يدرك النجاح، ولكن بعدما أكل منه زهرة شبابه وشارف على الفناء.

(٤) والمرء بين قريب لا يُبدي المودة إلّا مراءً وخداعاً وبسمة يفوح منها عطر أفسده الرياء، وبين صديق مرد على حقد دفين يعشعش في أعماق صدره، وإن بدا ففي كلمة يقطر منها سمّ قاتل، بثوب نصح.

(٥) ومما يدلّ أن القصيدة ليست لعنترة هذا البيت، فهو يستعيذ باللّه تعالى من قلب ماتت فيه دلائل الحبّ الصادق، ونبت فيه حقد محرق لا شفاء منه، فهو وقود لا ينطفئ ما فيه حتى يحرق صاحبه قبل أن يحرق غيره؛ فالعلاقة =

يُـكَـلّـفُـنـي أن أطْـلُـبَ الـعِـزَّ بـالـقَـنَـا
وَأيـنَ الـعُـلا إنْ لـمْ يُـسـاعـدنـيَ الـجَـدُّ[١]؟
أُحِـبُّ كـمـا يَـهْـوَاهُ رُمـحـي وَصَـارِمـي
وَسَـابِـغَـةٌ زَغْـفٌ وَسَـابِـغَـةٌ نَـهْـدُ[٢]
فَـيَـا لَـكَ مـن قَـلْـبٍ تَـوَقّـدَ فـي الـحَـشَـا
وَيـا لَـكَ مـن دمْـعٍ غَـزِيـرٍ لَـهُ مَـدّ[٣]
وَإنْ تُـظْـهِـرِ الأيّـامُ كُـلّ عَـظِـيـمَـةٍ
فَـلـي بَـيـنَ أضْـلاعـي لـهـا أسَـدٌ وَرْدُ[٤]

= معه لا تفيد، وقطع العلاقة وبال أيضاً؛ فهو لا يني أن يكون عبداً لما يضمره.

(١) لكلّ غاية من غايات الحياة وآمانيها وسيلة، والشاعر لا يجد سوى وسيلة وحيدة لا غير؛ دخول معترك الحياة بقتال دائم لا رحمة فيه، والمرء فيه بين قاتل ومقتول، حيث تعمّ الكراهية والموت، وحتى في هذا المجال لا بدّ من حظ مساعد.

(٢) السابغة من الدروع: الفضفاضة الطويلة. الزغف: الواسعة المحكمة النسج. النهد: ذات النتوء والبروز. إن الشاعر يفضّل من السلاح الرمح والسيف الصارم والدرع الفضفاضة اللينة المحكمة الصنع ذات الزرد الناتئ البارز.

(٣) يعجب الشاعر لقلبه الذي ينطوي على نار حارقة لا تريم تأكل كلّ شيء إنساني نبيل في عالم الكذب والنفاق، كما يعجب من عينيه لا تتوقف عن دمع غزير لا ينقطع.

(٤) الورد: الأسد شعره بين الأشقر والكميت. يأمل الشاعر أن تُواتيه فرصة تبيح له النجاح فيما يسعى إلى تحقيقه؛ فأدوات النجاح تتوفّر لديه؛ قلب وحشيّ، قلب أسد ضرغام فتّاك.

إذا كـانَ لا يَـمْـضـي الـحُـسـامُ بـنَـفْـسِـهِ
فَـلـلـضّـارِبِ الـمـاضـي بـقَـائِـمِـهِ حَـدُّ[١]

وَحَـوْلِـيَ مِـنْ دونِ الأنَـامِ عِـصَـابَـةٌ
تَـوَدُّدُهَـا يَـخْـفَـى وَأضْـغَـانُـهـا تَـبْـدو[٢]

يَـسُـرُّ الـفـتـى دهـرٌ، وَقـد كـانَ سَـاءَهُ
وَتَـخْـدُمُـهُ الأيّـامُ، وَهْـوَ لـهـا عَـبْـدُ[٣]

وَلا مـالَ إلا مَـا أفَـادَكَ نَـيْـلُـهُ
ثَـنَـاءً، وَلا مـالٌ لـمَـنْ لا لَـهُ مَـجْـدُ[٤]

وَلا عـاشَ إلا مَـنْ يُـصَـاحِـبُ فِـتْـيَـةً
غَـطـارِيفَ لا يَـعنيهِـمُ الـنحسُ وَالسَّعدُ[٥]

إذا طُـولِـبـوا يَـوْمـاً إلـى الـغَـزْو شَـمّـرُوا
وَإنْ نُـدِبـوا يـوْمـاً إلـى غـارَةٍ جَـدّوا[٦]

---

(١) والسيف لا قيمة له، فهو قطعة حديدية، ولكن هذا السيف قيمته تتجلّى باستعماله، واستعمال الشجاع الجبار يعطيه قيمته الحقيقية.

(٢) العصابة: الجماعة. التودّد: إظهار المحبّة. أضغانها: أحقادها. لقد كان حظ الشاعر أن تلوذ به جماعة من بين سائر البشر تبدي ودّاً وحبّاً، وتخفي ما هو أدهى وأمرّ؛ إنه خبث معجون بحقد ماكر، فهم ضعاف يستثمرون الأقوياء بمعسول الكلام.

(٣) الأيام دول، يوم لك ويوم عليك، وقد يُفلح في حياته، فإذا بالفرص تواتيه وتخدمه الظروف، وهو في الحقيقة عبد للأيام.

(٤) ثمة نظرة اقتصادية في مجتمع اختلت فيه الموازين، عادة يُقاس الناس بمقدار ما لهم من أموال، يرى الشاعر أن لا قيمة للأموال الطائلة إلّا وزّعت بين البشر، وفي هذه الحالة يكثر البكاء على الكرماء من المعوزين، ولهذا من لا مال له يفقد المجد.

(٥)، (٦) الغطاريف، واحدهم غِطريف: السيد الشريف والكريم السري. إنها =

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل تُبلّغني المُنى
وَتَلقى بيَ الأعداءَ سابحَةٌ تَعْدو[١]
جَوَادٌ إذا شَقّ المَحافِلَ صَدْرُهُ
يَرُوحُ إلى ظُعْنِ القَبائِلِ أوْ يغدو[٢]
خفيفٌ على إثْرِ الطّرِيدةِ في الفَلا
إذا هاجتِ الرَّمضَاءُ وَاختَلَفَ الطَّرْدُ[٣]
وَيَصْحَبُني من آلِ عَبْسٍ عِصَابةٌ
لها شَرَفٌ بَينَ القَبائلِ يَمْتَدُّ[٤]
بهاليلُ مثلُ الأُسْدِ في كلّ مَوْطِنٍ
كأنّ دَمَ الأعداءِ في فمهم شَهْدُ[٥]

= نظرة تجانس؛ فالمرء خليل من يصادقه، لذا فمن عرف معنى الحياة لا بدّ له من مصاحبة سادة كرماء شجعان لا يهتمون لشيء زائل، فالنحوس والسعود سرعان ما تزول ويبقى الصيت الحسن. وهؤلاء على استعداد لتلبية النداء، فهم قادرون على الاشتراك في الحروب، يشمّرون سواعد الجدّ في الغزو والغارات.

(١)، (٢) السابحة: الفرس التي تعدو وكأنها تسبح لسرعتها. يتمنّى الشاعر أن يمتطي فرساً سابحة ليلقى الأعداء في الحرب بشوق الظامئ إلى النصر وإراقة الدماء. هو الجواد المطلوب الذي يخترق جموع الأعداء بصدره حتى يبلغ ظعن القبائل فيعود بالسبايا في كلّ وقت مع الفجر أو بالغداة.

(٣) الرمضاء: شدّة الحرّ عند الظهيرة. اختلف الطرد: يقصد الفتور بعد الحدّة. فالجواد المطلوب المشارك في الحروب هو خفيف أيضاً يُطارد الطرائد في الصيد في الصحراء في كلّ وقت، ففي الظهيرة لا يتوانى ولا يضعف، وقد تضعف الطريدة فيسهل اصطيادها لملاحقته لها.

(٤) يشارك الشاعر كوكبة من بني عبس، إنهم شرفاء ينتشر صيتهم الزاهر في القبائل.

(٥) بهاليل، المفرد بُهلول: السيد الجامع لخصال الفضل والخير. يمدح =